الوردة السوداء

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

الوردة السوداء
الشيماء عبد العال
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:
الطبعة الأولى:

الشيماء عبد العال

الوردة السوداء

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى روح أبي.. إليك مني السلام تلك هي روايتي الأولى التي لم تقرأها أهديك رسالتي التي بداخلها والتي علمتني إياها.. ستظل حيًّا بداخلي وفي كل شيء حولي.

إهداء

إلى هؤلاء الجنود المجهولين للجميع ويهبونني من أرواحهم الحياة

لولاكم ما كتبت تلك السطور وتوقفت عن الكتابة

أهديكم من قوة أرواحكم تلك الرواية

أدامكم الله سندًا أستند عليه عندما تميل بي الحياة.

الشيماء عبد العال

مقدمة

في طريق خالٍ من المارة أسير محمولة على الأعناق بداخل صندوق خشبي، لا أستمع إلى صراخٍ أو عويلٍ ولا حتى هؤلاء المستغفرين أو المحوقلين، لا شيء، لا أسمع سوى خطوات غاضبة أكاد أتبين عددها ولكن لم أستطع، كنت في ظلمة بداخل هذا الصندوق، دب في قلبي رعبٌ وألف سؤال، هل حقًّا أنا الآن في عِداد الأموات!! أحاول أن اصرخ ولكن لا أستطيع، أضرب بيديَّ الصندوق فكأنني أضرب في الفراغ، يداي لا تلمسان شيئًا حتى بكائي صار مكتومًا أشعر به يرتج بداخل صدري يحاول الخروج مثلي، ولكن لا يستطيع.. توقفت الخطوات وألقوا بي وهرولوا مبتعدين لم يهيلوا فوقي التراب ولم يحملوني بداخل حفرتي الأخيرة، رموا بالصندوق في مكان بعيد، رأيتهم يجرون بعيدًا لم يلتفتوا إليَّ ورأيت نفسي الآن بلا كفن عارية تمامًا، السماء كانت مقبضة والأشواك في كل مكان يخيم على رأسي ظُلمة خانقة والخوف تملكني.. أنا وحيدة حتى وأنا جثة.. مهملة بين الأحياء والأموات.

ذاك الكابوس الذي يراودني دومًا أستيقظ من نومي فزعة لا أعلم هل أنا بين الأموات أم نجوت من الموت إلا عندما أشهق تلك الشهقة التي تعيدني للحياة مرة أخرى، كابوس لا أدري كونه حقيقة أم خيالاً ولكن يشبه حياتي كثيرًا، حياة عارية لا يوجد بها شيء سواي أنا فقط.

كنت أعتقد أن الكابوس يتحقق كما يأتينا ولم أكن أعلم أنه مجرد رمزٍ

لكوابيس حقيقية سوف أعيشها وأراها بعيني فيما بعد.. دومًا كانت الوحدة تخيفني ورغم ذلك كنت أشعر بها تتغلغل بداخلي شيئًا فشيئًا لا أطيق الناس ولكن يتملكني الخوف بدونهم، اتخذت من أشياء كثيرة أسلحةً لأدافع بها عن نفسي منهم وأأمن شرهم عندما أنغمس بداخلهم، كان هدفي حماية نفسي فقط ولكنني وجدت أنني لم أؤذِ أحدًا سواي.. أو هكذا اعتقدت حينها..!

الآن الأسوار تحيطني من كل جانب أسوار رمادية اللون ليس هناك مكان للأبيض والأسود وكأن الحياة تُخبرني ألا مكان لهذين اللونين اللذين أفنيت بداخلهما عمري الآن وقد جُرِّدت من أجنحتي وسقطت من على جوادي الجامح وكُسِرت فلا يسعني شيء في هذا المكان الباردة جوانبه سوى أن أروي قصتي غير مبالية بأي شيء لعلَّ الحرية تبدأ من داخلي أولاً، سأرويها ليس من أجل أن أكتسب تعاطفًا أو حنقًا من أحدٍ فلم تعد آراء أحد تعنيني الآن وأنا لا أعلم مصيري كل شيء أصبح متساويًا بداخلي.

في السجن

أستيقظ من كابوسي وأنا في مشفى السجن.. يدي عليها غُلالة بيضاء والمحاليل تقطر من تلك الأنابيب الدقيقة وكيس معلق به دماء أحد ما تنقل إليَّ لا أدري ما حدثَ لي، آخر شيء رأيته امرأة اقتحمت عليَّ باب الحمامَّ كانت مُلثمة بغطاء رأسها الأبيض مثل الذي نرتديه جميعًا في السجن، هجمت عليَّ وكتفتني ولم أشعر سوى بالدماء الساخنة تنهمر من يدي وغبت عن الوعي بعدها ثم وجدتني هنا.. لا أعلم حتى كيف تم إنقاذي ولمَ أنقذوني!!

لا أعلم لماذا تلك المرأة المُلثمة فعلت بي ذلك، ولكنني حتمًا سأشكرها لمحاولتها تخليصي من الحياة بتلك الطريقة التي لم أجرؤ يومًا أن أُقدم عليها رغم تفكيري الدائم في الانتحار.. نعم حاولت من قبل ولكن فشلت حتى بطرقي البدائية التي كنت أحذوها وبرغم محاولاتي إلا أنني كنت أخاف الألم أو أخاف الموت فلا أستطيع أن أقدم على خطوة تجاهه برغم رغبتي الشديدة فيه.

بعدما استيقظت بقليل جاءني ضابط ليفتح معي تحقيقًا لعلّه يعلم منِّي ما حدثَ، ولم أكن أعلم ماذا سأقول له فلم يكن عندي أي أقوال أو معرفة بمن سيكون عنده الرغبة في قتلي وأنا في هذا المكان الذي لم يكن لي فيه أي اختلاط سوى بواحدة فقط هي التي كانت تسمعني ولا أعتقد أنها هي من فعلت بي

ذلك.. لا لا لم تكن عينها التي رأيتها من خلف اللثام، كان أمرًا محيرًا لي فلم أجد نفسي إلا وأنا أجيب.

- أنا اللي حاولت أنتحر.

أجابني بهدوء:

- هنشوف.

كنت أعلم أن الحراس سوف يجازون على ما قُلت، ولكن حتى وإن كانت محاولة لقتلي سيتم التحقيق مع الجميع، ولكن لم يعد يهم شيء بعد الآن.

عندما جاءهم تقرير المعمل الجنائي الذي أكد لهم أنها ليست محاولة انتحار بل إنها محاولة قتل بدأ التحقيق معي مرة أخرى سائلاً إياي:

- مين اللي كانت قريبة منك في العنبر؟

- الحاجة فاطمة سريرها جنبي، كنت بحكي معاها دايمًا.

- ليكِ أعداء في السجن؟

- لا، ليه هيكون ليَّا أعداء؟ أنا في حالي.

فسألني:

- وبتتكلموا في إيه إنتي وفاطمة؟

- كان عندها فضول تعرف جريمتي إيه.. استريحت لها وحكيتلها حكايتي.

وبدأت في سرد ما كان يدور بيننا.

(1)

سمر

كنت أظن أن كل شيء يسير كما خططت له.. دومًا كانت الخطط رفيقي الأول ليس ذلك فقط بل وأحاول تنفيذها على أكمل وجه ولكن ليس دومًا تأتي الرياح كما تشتهي السفن كان لا بد أن ينقلب يومًا ما السحر على الساحر.

أنا سمر يطلقون عليّ "سمرا" كنية عن بشرتي القمحية التي تشبه قرص الشمس الذهبي ولكن بعد فتره من الوقت انطفأت شمسي وذبُلت زهوري وهي لا تزال في مزهريتها الخزفية التي كانت لابد منها للحفاظ عليها.. تلك المزهرية هي زواجي الذي أُجبرت على الدخول فيه رغمًا عني وليس بإرادتي، لن أسبق الأحداث، ولكن عليّ الآن أن أخبرك ما الذي جاء بي إلى هنا في "سجن القناطر".

بعد فترة صمت دامت أسبوعين منذ دخولي إلى ذاك العنبر المليء بالنساء جاءتني تلك السيدة التي يُطلق عليها "الحاجة فاطمة" جلست بجانبي تخفف عني وتستجديني أن أكف عن بكائي الصامت الذي تسمع أزيزه في صمت الليل بعد أن أشفقت عليَّ من صراخ بقية النسوة لي كي أكف عنه، لم أكن لأستطيع أن أتوقف عنه فإذا بيدها الحانية تربت على كتفي وأنا منكفئة بجسدي على الفراش الذي أسموه فيما بعد بفراشي ولكنه لا يشبهه هكذا أيضًا

أخبرتني أنني لا أشبه هذا المكان وحاولت أن تخفف عني، ولكن كلماتها التي جعلتني أنفجر في البكاء كانت:

"هدِّي نفسك يا بنتي تعالي في حضني أنا زي أمك برضو."

بكيت كما لم أبكِ من قبل، لدرجة جعلت الجميع يتساءلون ماذا قالت لي لكي أبكي كل هذا البكاء فأخبرتهم"الحاجة فاطمة" بسيلٍ من الحلفان الذي لم ينقطع:

"يمين بالله ما قولتلها حاجة غير إني زي أمها".

لووا شفاههم واتهمنني بأنني أقوم بالتمثيل عليهن وهناك أخريات تصعَّبْن على حالي ولا مانع من بعض الإضافات المثيرة للشفقة مثل أن ربما أمي متوفاة!!، كلماتهن زادتني بكاءً، لم تكن أمي متوفاة ولكن يا ليتها، في غمرة بكائي سحبتني "الحاجة فاطمة" من ذراعي وضمتني بداخلها كانت قواي قد خارت من البكاء فلم أقاوم، شعرت بداخلها بحنان أم تمنيته كثيراً منذ طفولتي وأنا أتمنى احتضانة مثل تلك ولكنني لم أحظَ بها طوال تلك السنوات، نعم أنا التي تخطيت منتصف الثلاثين لم تحتضنني أم احتضانة تكفيني لم أشعر يومًا أن جوعي لضمة حانية منها قد أُشبِع ويا ليتها فعلت ما كنت الآن في هذا المكان أو ربما لم يكن لها ذنب!

كفكفت دمعي بأكمام رداء السجن الأبيض ومسحت وجهي بغطاء رأسي الذي انحسر عني بعد تلك الاحتضانة التي خجلت منها، لم أعتد أن يحتضنني أحد، أنا التي أحتضن الجميع أخجل من أن تضمني إحداهن وكأنه عار عليَّ هذا الاحتياج الذي لطالما احتجت إليه، ولم يكف عن إلحاحه الذي كاد يشق

صدري ولكنني لم أعد أستطيع أن أرتمي على صدر أحدٍ لأبكي ما فات أو ما أنا فيه، أيقظتني من أفكاري تلك الأم الحنون قائلة:

- ماقصدتش يا بنتي أفكرك بأمك الله يرحمها، أنا بس كنت عاوزة أخفف عنك، أصل إنتي شكلك بنت ناس ومش وش بهدلة، وبصراحة مش قادرة أصدق الكلام اللي منتشر هنا عن قضيتك، إلا إنتي صحيح جيتي في جريمة قتل!!

انقبض صدري عندما لفظت "قتل" وكأنني قد نسيت أنني بالفعل قد قتَلتْ ولا أعلم كيف، ولكن هذا ما حدث، واجهتني بفعلتي؛ فجثم على صدري ثقل كل أفعالي التي فعلتها ومعهم جريمتي الكبرى "القتل".

أومأت لها: "نعم" أتيت في جريمة قتل. شهقت من قلبها شهقة شعرت بأن صدرها كاد أن يُشَقّ من قوتها وأتبعتها بضربة عليه وكأنها تعطيه أمرًا أن يثبت في مكانه، لا أعلم لماذا كل هذا الخوف الذي خرج من عينيها وكأنني بالفعل ابنتها.. لم أرَ هذا الخوف على وجوه من أنتمي إليهم بل لم أرَ وجوههم في المُطلق إلى الآن، نكست رأسي مجددًا فاستحثتني أن أكمل قائلة:

- قوليلي قتلتي مين!! جوزك؟

لم أستطع أن أخبرها حينها من قتلت والتزمت الصمت الذي كاد يخنقني بماذا أخبرها، هل أخبرها أنني لا أستحق تعاطفها وخوفها عليّ، هل أخبرها أنني تلك المرأة الخائنة التي لن يرحمها أحدٌ.. بماذا أخبرها، صمتُّ ولم أجب وسال دمعي من جديد؛ فربتت على كتفي وأخبرتْني بلهجتها الحانية البسيطة:

- كل حاجة هتبقى كويسة.

ولكنني لم أصدقها لأنني أعلم أن لم يعد هناك خيرٌ لكي يكون منذ تلك الليلة المشئومة.

(2)

سمر

في تلك الليلة رأيتني عارية إلا من نقابٍ يُغطِّي وجهي فقط من أين جاء، وأنا لست منتقبة من الأساس، اختنقت منه لشدة الهواء الذي واجهني وأنا أركض خلف مشيعيني الذين هرولوا بعيدًا عني. شددته من على وجهي أغطي سوءتي ثم توقفت فجأة عندما وجدتني أركض بلا جدوى مني فقد اختفوا جميعهم كأن الأرض انشقت وابتلعتهم، لا يزال الظلام ينزل بستائره السوداء على السماء والغيوم تزداد. حاولت احتضان نفسي فلم أستطع خرجت الكلاب من كل صوب وجهة تعوي عواءً أفزعني فاستيقظتُ ألهث من نومي وأنا أحاول ستر جسدي بكلتا يديَّ، استيقظ الجميع على صوت أنفاسي المتلاحقة وصراخي المكتوم؛ فلم أجد سواها بجانبي. مرة أخرى تربِّت على كتفي وتضمُّني، تطمئنني بكلماتها المعهودة.

- ماتخافيش يا بنتي ده كابوس استعيذي بالله منه.

ذكرتني بكلمات أمي، ولكن لم تكن بنفس النبرة الحانية التي كانت تنطق بها "الحاجة فاطمة". نبرتها دومًا حادة وجافة، أخبرتني يومًا وأنا لا زلت في عامي الرابع عشر أنني لن أرِدْ على جنة لأني ضيعت صلاة واحدة لي جلست بجانبي وحاسبتني كما يحاسب الملكان الموتى وقالت لي: